جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

البحث في الدرس التفسيري عند علماء الجزائر –عقبات وحلول–

Research into the interpretation of the Qur'an according to Algerian scientists - obstacles and solutions-

عادل رفيق عزوق[1]
azoug.adelrafik@univ-emir.dz

د. عبد الغاني عيساوي[2]
abdelghaniomar@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 01/02/ 2025 تاريخ النشر: 15/09/2025
Received: 01/02/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

يهدف هذا البحث إلى تذليل الصعوبات أمام الباحثين في الدرس التفسيري عند علماء الجزائر، من خلال الكشف عن المضائق التي تحرج الباحث وتعرقله، ومحاولة رسم أفق فسيح تُلغى فيه المعوقات أو يُقلل من وطأتها، بسلوك منهج الوصف لهذه المشكلات البحثية، ومحاولة ضرب الأمثلة الواقعية لها، وتحليلها والبحث عن أسبابها، مما يثمر مقترحات لاحتوائها وإصلاحها.

كلمات مفتاحية: البحث، الدرس التفسيري، علماء الجزائر، عقبات، حلول.

Abstract:

This research aims to overcome the difficulties faced by researchers in interpreting the Qur'an among Algerian scholars, by revealing the difficulties that embarrass and hinder the researcher, and trying to draw a broad horizon in which the obstacles are eliminated or their impact is reduced, by adopting a descriptive approach to these research problems, and trying to provide realistic examples of them. Analyzing it and searching for its causes, which results in proposals to contain and reform it.

Keywords: Research; the interpretation of the Qur'an; Algerian scientists; obstacles; solutions.

(1) مخبر البحث في الدراسات القرآنية والسنة النبوية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.
(2) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

مقدمة:

يرصد المطالع لمدونات التراجم والتاريخ والرحلات؛ اشتغال علماء الجزائر بتفسير القرآن الكريم على مر العصور، وفي مختلف ربوع هذا الوطن، وعلى اختلاف المشارب والاتجاهات، وعلى تنوع الأشكال والتمظهرات، مما يجعل الباحث واقفا أمام سيل من الأفكار البحثية التي لم يَسبق التطرق لها، بَيْدَ أن من يلج باب البحث في هذا التراث الضخم؛ يجد صعوبات وعقبات وتحديات؛ تعيقه أثناء بحثه، والتي تحول –أحيانا– دون اكتمال البحث ووضوح نتائجه، وفي السياق نفسه؛ نجد أنه بالإمكان رفع كثير من هذه المعوقات ومعالجتها والتقليل من آثارها، فتأتي هذه الورقة البحثية مجيبة عن تساؤلات ملحة يطرحها كثير من الباحثين:

- فما هي العقبات التي يواجهها الباحث في الدرس التفسيري لدى علماء الجزائر؟.
- وما الحلول المقترحة والآفاق المستشرفة للبحث في هذا المجال؟.

تظهر أهمية هذا البحث في كونه معتنيا بجانب عظيم من مكونات التراث العلمي الجزائري؛ وهو التراث التفسيري، كما أنه يلمس جانبا عمليا وحيويا في البحث؛ وهو الصعوبات البحثية التي تواجه الباحث وطرق تجاوزها، فالكلام في التراث التفسيري الجزائري كثير، ولكن الحديث عن العقبات والحلول والآفاق قليل نادر، وتعتبر هذه الورقة البحثية إسهاما نوعيا في تذليل الصعاب لإبراز البصمة الجزائرية في علم التفسير خصوصا وفي شتى العلوم والفنون عموما.

يهدف هذا البحث إلى تذليل الصعوبات أمام الباحثين في الدرس التفسيري عند علماء الجزائر، من خلال الكشف عن المضائق التي تحرج الباحث وتعرقله، ومحاولة رسم أفق فسيح تُلغى فيه المعوقات أو يُقلل من وطأتها، بسلوك منهج الوصف لهذه المشكلات البحثية، ومحاولة ضرب الأمثلة الواقعية لها، وتحليلها والبحث عن أسبابها، مما يثمر مقترحات لاحتوائها وإصلاحها.

من أجل معالجة الإشكالية المشار إليها؛ تم وضع الخطة وفق العناصر التالية:

1. مقدمة
2. عقبات البحث في الدرس التفسيري عند علماء الجزائر.
3. حلول مقترحة لإنعاش البحث في الدرس التفسيري في الجزائر.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام؛ أن البحث في المجال التفسيري الجزائري شهد نشاطا في الآونة الأخيرة؛ عن طريق المذكرات والأطروحات والملتقيات والمخابر وفرق البحث، بالرغم من العراقيل والصعوبات، بيد أن استثمار مخرجات هذا البحث؛ سيعزز –بإذن الله تعالى– هذا التوجه.

عقبات البحث في الدرس التفسيري عند علماء الجزائر

من خلال تتبعي لجهود أعلام الجزائر في علم التفسير مررت بصعوبات كثيرة، وكنت كلما اعترضني مشكل سجلته في ملف (وورد) على حاسوبي الخاص؛ أملا في تكوين فكرة بحثية نافعة، وبالفعل؛ تكوّن لديّ كَمٌّ لا بأس به من العقبات، وفي ورقتي البحثية هذه اعتمدت اعتمادا أغلبيا على تجربتي الشخصية، واستفدت من غيري كما هو مبين في محله، فمن العقبات التي تم رصدها:

1.2 ضعف الاهتمام بالطباعة والنشر في الجزائر:

إن الباحث في التراث الجزائري ليصطدم بواقع مرير، وهو أن الطباعة والنشر في الجزائر ضعيفة جدا، وإن أغلب ما دوّنه الجزائريون من مدونات وموسوعات مطبوع خارج الجزائر، وإن هذا الإهمال له آثاره الفظيعة على الأدبيات الجزائرية، وإنك حينما تزور المكتبات الجزائرية في معرض الجزائر الدولي للكتاب؛ تجد النتاج المشرقي فيها أكثر بأضعاف من النتائج المغاربي عموما والجزائري على وجه خاص، بل إن المتتبع لدور النشر الجزائرية ليجد أنها تهتم بطباعة التراث التفسيري المشرقي أكثر من التراث الجزائري!.

وحتى ما طبع من التفاسير الجزائرية ورأى النور فكثير منها قد نفدت نسخه من المكتبات ولا نية لإعادة نشره، من أمثلة ذلك؛ كتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، فلا تكاد تجد له نسخة في مكتبة، وهذا ما يحول –قطعا– دون تمكن الباحث من الاطلاع على المدونات التفسيرية الجزائرية.

ومما يرصد في هذا السياق؛ أن بعضا من التفاسير الجزائرية قد طبعت تحت نفقة جهات حكومية أو محسنين، وتكون النسخ بأعداد محدودة سرعان ما تنفد، مثل تفسير (الفيض الرباني في بيان معاني القرآن) للشيخ محمد الحواس بوسنة السطيفي؛ الذي طبعته وزارة الثقافة ضمن تظاهرة "قسنطينة عاصمة الثقافة العربية"، وقد بحثت عنه فلم أجد له نسخة إلا بعد مشقة في مكتبة بأحد مساجد سطيف، وكذلك تفسير (من توجيهات القرآن الكريم) للشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري؛ الذي طبعة –أولا– في ليبيا!، ولم أجد هذه الطبعة، ثم طبع طبعة خيرية من طرف أحد المحسنين في ولاية برج بوعريريج، وتم توزيع النسخ ولم أجد لها أثرا، حتى وجدت نسخة في مكتبة مهجورة بأحد مساجد سطيف.

2.2 تَزَمُّتُ كثير من أصحاب المكتبات وعائلاتهم:

قد يجد الباحث في التراث التفسيري بغيته في بعض المكتبات في ربوع الوطن، ولكن –للأسف الشديد– قد يتعرض لرفض شديد للاطلاع على المخطوط فضلا عن تصويره، وهذا له أسبابه في بعض الأحيان، كتعرض صاحب المكتبة لسرقة مخطوطاته من طرف أشخاص لا علاقة لهم بالتراث والبحث العلمي، وإنما همهم تجاري بحت، فتجد صاحب المكتبة أو ورثته يتوجسون من كل زائر يريد الاطلاع على المخطوطات، فيمتنعون من خدمة الباحثين وإعانتهم.

ومما أذكره في هذا المقام؛ أنه تعسر علي الحصول على أعداد من مجلة (صوت المسجد) لصاحبها الشيخ محمد العاصمي، والتي تحوي مقالات تفسيرية حَرِيّة بالدراسة، وذلك أن أعدادها موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، وعندما أردت التواصل هاتفيا بالمكتبة؛ لم أجد ردا، ثم تجشمت السفر إلى الجزائر العاصمة فوجدت جناح المكتبة الوطنية في معرض الكتاب الدولي بالجزائر، وجرى بيني وبين المشرفة على الجناح حديث حول كيفية الحصول على أعداد المجلة، فدلتني على خطوات بيروقراطية طويلة، فأحسست أنني أريد الاطلاع على معلومات استخباراتية خطيرة، ولا أدري سبب هذا الوضع، إذ المفروض أن تكون هذه المجلة منشورة ومتاحة على الإنترنت ليستفيد منها الباحثون، وفي آخر المطاف تحصلت عليها –بحمد الله– من الباحث الكريم الخدوم: لحسن بن علجية دون عناء ولا تعب.

3.2 صعوبة الوصول إلى الأرشيف الفرنسي:

مما لا يشك فيه أن كثيرا من النتاج العلمي لعلماء الجزائر هو حبيس رفوف الأرشيف الفرنسي، ولكن فرنسا –العدو الأبدي للجزائريين– تخفي هذا الأرشيف ولا تتيح الاطلاع عليه، وإذا كانت فرنسا تحتجز عندها جماجم للمقاومين الذين استشهدوا قبل قرابة قرن ونصف، فكيف بما له قيمة علمية نوعية، وإن كنا نتحدث عن الأرشيف الفرنسي فلا نقصد به المكتوب من التفاسير فقط، وإنما نقصد به –أيضا– تلك التقارير التي كان يكتبها الضباط والمفتشون الفرنسيون وعملاؤهم من الخونة حول النشاط التفسيري لعلماء الجزائر في مختلف المجالس، سواء كان ذلك في المساجد أو المدارس أو النوادي أو الزوايا، ودونك نقل لأبي القاسم سعد الله عن تقرير دقيق ومفصل لمفتش فرنسي اسمه (ديستان) عن دروس الشيخ عبد الحليم بن سماية في التفسير وغيره في الجامع الجديد (سعد الله، 2007، صفحة 96/3): " وصفه بالمثقف المتمكن والمتنفذ في مدينة الجزائر...وقال التقرير أن له درسين في المسجد عام وخاص، وهو يستعمل دفتر المناداة، وعدد الحضور يتراوح بين العشرة والثلاثين...غير أن الدروس الخاصة يحضرها تلاميذ السنة الأولى للمدرسة مع تلاميذ أحرار مترشحين لدخول نفس المدرسة، وكان الدرس الخاص (للتلاميذ) في مادة النصوص الأدبية من كتاب (المستطرف) وغيره، أما الدرس العام فهو في التفسير وشرح الأحاديث. وأما عدد الساعات الأسبوعية في كلا التقريرين فواحد، وهو خمسة لقاءات. ولكن التقرير لاحظ أن الشيخ كان متغيبا في عطلة منذ 15 أبريل 1912.".

ونحن إذ نتحدث عن ما هو موجود في فرنسا فلأنها تحوز حصة الأسد من ذلك، والواقع أن التراث التفسيري الجزائري موجود في كثير من البلدان في العالم الإسلامي وغيره، محفوظا في مراكز المخطوطات والمؤسسات الجامعية والمكتبات.

ومن أمثلة ذلك: تفسير الشيخ طاهر الجزائري (تفسير القرآن الحكيم) وهو تفسير من أربعة مجلدات، بخط المؤلف، محفوظ في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

4.2 ضياع المخطوطات وتلفها:

لعل ضياع مخطوطات التفاسير الجزائرية وتلفها من أكبر معوقات البحث، وحينما نتتبع أسباب ذلك نجدها كثيرة، فمنها على سبيل المثال:

1. إهمال الورثة لمكتبة العالم المتوفى، وذلك بسبب تدني مستواهم العلمي، وعدم اهتمامهم بحفظ الموروث الثقافي، فبعضهم يرميها رمي النفايات, وبعضهم يبيعها بأبخس الأثمان، وأحسنهم حالا ذاك الذي يتركها لحوادث الزمن فيكون مصيرها إلى التلف.
2. هجرة العالم وانتقاله عن مكان إقامته، كما حصل لكثير من العلماء بسبب الاستعمار.
3. احتراق هذه المكتبة أو خرابها بهدم أو فيضان أو احتراق أو غير ذلك.
4. تعرض المخطوط للعوامل الطبيعية كالبلل والرطوبة أو التهام الحشرات والهوام كالأرضة والفئران.
5. نهب الاستعمار الفرنسي لمكتبة العالم أو حرقها.

ومن أمثلة ما ضاع من التفاسير: (تفسير القرآن الكريم)، كتبه الأديب والصحفي عمر راسم في سجنه (نويهض، 1988)، ويغلب على الظن أنه تم نهبه وسرقته من طرف السجانين الفرنسيين، حيث تم سجنه في فترة الحرب العالمية الأولى فلاقى المحن الشديدة في سجنه وبقيت آثار السجن النفسية عليه حتى وفاته، قال الاستاذ أحمد توفيق المدني: " وهو ممن نكبوا على يد الاستعمار القاسي نكبة سوداء أثرت على البقية الباقية من حياته..." (نويهض، 1980).

5.2 ضعف دعم الباحثين:

إن الحصول على المخطوط يتطلب –أحيانا– مصاريف قد تكون باهظة، وإذا كان المخطوط موجودا خارج الجزائر فالباحث يحتاج إلى مصاريف التنقل والإقامة وتكاليف شراء المخطوط إذا لم يكن مجانيا، وهذا ما لا يكون متاحا لكل باحث، فمنحة طالب الدكتوراه في الجزائر لا تغطي مصاريف تنقله في الجزائر لمسافة قريبة، في الوقت الذي نجد فيه بعض مراكز المخطوطات في العالم تضع أثمانا خيالية لصورة المخطوط، فإذا كان هناك نقص في تمويل البحث العلمي، وعدم تخصيص الميزانيات الكافية لإجراء البحوث بالطرق المناسبة فهذا يعتبر من الصعوبات المالية للبحث العلمي (فلوح، 2017)، وهذا يؤدي إلى عدم توفير البنية التحتية اللازمة للبحث العلمي (بلبكاي، 2016، صفحة 26).

كما أن الباحث الجزائري عموما لا يستطيع التفرغ لتحقيق المخطوط في ظل الظروف المعيشية في الجزائر، لأن تحقيق المخطوطات يحتاج الى جهد وتفرغ كبيرين، وفي ظل غياب الدعم المادي؛ ينصرف الباحث إلى عالم الشغل لضمان لقمة العيش، وهذا ما يؤثر سلبا على حركة البحث والتحقيق.

6.2 غلبة التفسير الشفاهي:

يقول أبو القاسم سعد الله (سعد الله، 2007، صفحة 121/1): " أما التفسير فقد ضعفت العناية به، فكان بعض العلماء يتناولونه في مجالسهم ودروسهم ولكن قلما ألفوا فيه"، وإن الدراسة المنهجية للدرس التفسيري إنما تكون بإعمال المناهج المختلفة في النص المعالج، وفي ظل غلبة التفسير الشفهي لعلماء الجزائر وعدم تقييده من طرف الطلبة، فلا يستطيع الباحث أن يطلع على المادة العلمية ليخضعها لمختلف المناهج والمقاربات، وغاية ما يمكن دراسته في التفسير الشفاهي هو الظروف المحيطة به: من موضوع عام، وأحوال الحضور لهذه الدروس، ومناسباتها، وغير ذلك.

إن المسؤولية الكبرى في ضياع مضمون هذا التفسير الشفاهي ملقاة على عاتق طلبة العالم الذين لم يدونوا ما تجود به قريحته، بل إن كثيرا ممن كان يحضر دروس العالم هم من عامة الناس الذين ليس لهم اشتغال بالعلم ولا معرفه بقيمته، وفي هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله وهو يصف الحضور في دروس الشيخ محمد بن مصطفى خوجة (سعد الله، 2007، صفحة 86/3):" وكان التلاميذ الذين يحضرون درسه هم: عمال المسجد، وتلاميذ السنة الخامسة من مدرسة الجزائر (أي القسم العالي)، ثم بعض الخواص من سكان مدينة الجزائر"

ومن أبرز الأمثلة على هذا ضياع التفسير الشفاهي؛ الشيخ بن باديس –رحمه الله–، فقد فسر القرآن كاملا طوال 25 سنة، ولم ينقل الطلبة عنه حرفا واحدا، إلا ما دوّنه الشيخ البشير الإبراهيمي في المجلس الختامي من تفسير المعوذتين.

7.2 غياب الفهرسة أو ضعفها للتراث الجزائري:

إن كثيرا من المكتبات الخاصة والتي تحوي آلاف المخطوطات لا توجد لها فهرسة، فكيف للباحث أن يصل الى بغيته من كتب التفسير، كما أن كثيرا من الفهارس هزيلة وضعيفة وفيها أوهام كثيرة، سواء ذلك في نسبة الكتاب إلى صاحبه أو في ضبط الأسماء أو موضوع المخطوط، فتجد كتب الحديث مفهرس' مع الكتب الفقهية، وكتب التفسير مع شروح الحديث أو عكس.

8.2 قلة الدراسات السابقة وضعفها:

إن المطالع لمواضيع الأبحاث الجامعية الجزائرية يجد فيها نقصا فادحا في الاهتمام بدراسة الدرس التفسيري المحلي، في مقابل الاهتمام بتفاسير غير الجزائريين من الغرب أو المشرق الإسلامي، ولعل من أسباب هذا؛ تلك العقدة التي تسكن عقول كثير من الجزائريين في احتقار كل ما هو جزائري، بل سمعت كثيرا من أساتذة الجامعات يحتقرون التراث التفسيري والحديثي لعلماء الجزائر، زاعمين بأن لا إبداع فيه ولا إضافة نوعية، وأن المشارقة لم يتركوا للمغاربة شيئا يتميزون به، وإني أجزم أن هؤلاء لم يقرؤوا التراث التفسيري الجزائري ولم يطلعوا عليه، وإذا كان الأستاذ القدوة بهذه المثابة فما الظن بالطلبة الباحثين!.

أما ما هو موجود من الدراسات فبعضها يأخذ من بعض، وفيها كثير من الأوهام والأخطاء العلمية والتقصير في الاستقصاء والمجازفة في التحليل.

9.2 قلة كتب تراجم الجزائر وضعفها:

إنك حينما تريد أن تتعرف على علم من أعلام التفسير في الجزائر تجد نفسك أمام قليل من المراجع التي قد تفيدك، ولا أدل على هذا من كون أشهر موسوعة تراجمية لأعلام الجزائر مؤلفها لبناني، فأين الجهود الجزائرية من هذا، وكثير من المطبوع منها مفقود في المكتبات، ولا توجد له نسخة الكترونية.

لقد برزت مؤخرا بعض المحاولات لجمع تراجم أعلام الجزائر، وفيها نفع كبير، ولكن يعوزها الكثير من التدقيق، فتجد فيها أوهاما كثيرة في نسبة الكتب إلى الأعلام، وجعل العلم الواحد عدة أعلام، أو العكس، مع أخطاء في تسمية الكتب ومعرفة مواضيعها، ويرجع كثير من هذا الخلل إلى عدم تخصص أصحاب هذه الموسوعات في العلوم شرعية عموما وعلم التفسير خصوصا.

ومن أمثلة ذلك موسعة علماء وأدباء الجزائر للباحث رابح وخدوسي ومن معه من الباحثين، فمع سعتها واستيعابها إلا أنها تحتاج مزيدا من التدقيق والتصحيح والاستدراك.

10.2 ضعف المكتبات الجامعية:

إن كثيرا من التفاسير الجزائرية لا توجد في مكتبات الجامعات الجزائرية، ولي تجربة شخصية في البحث عن تفسيرين هما؛ (الفيض الرباني في بيان معاني القرآن) للشيخ محمد الحواس بوسنة الجزائري، وكتاب (توجيهات القرآن العظيم) للشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري؛ الذَين لم أجد لهما أثرا في الجامعات الجزائرية، ولم أعثر عليهما إلا في مكتبتي مسجدين من مساجد بلدية سطيف.

11.2 قلة الملتقيات والندوات وفرق البحث التي تهتم بالدرس التفسيري الجزائري:

نلحظ من خلال تتبع الملتقيات والندوات المعلن عنها في مختلف الجامعات الجزائرية قلّ التظاهرات التي تهتم بالتراث الجزائري عموما وبالدرس التفسيري على وجه الخصوص، مما نشأ عنه قلة اهتمام الباحثين بهذا الجانب، إذ لا يخفى ما في تنظيم الملتقيات من تحريك لهمم الباحثين تجاه موضوع الملتقى، كما نلحظ ضعفا في الاهتمام بالدرس التفسيري الجزائري في المخابر البحثية التي تنفق عليها الكليات ميزانيات ضخمة، إلا ما رأيناه في الأونة الأخيرة من إقامة لملتقيات وإنشاء لفرق بحثية تهتم بالتراث المحلي في مختلف العلوم والفنون، وقد جرى هذا التحول بعد توجيه من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بضرورة الاهتمام بالتراث المحلي.

ومما يؤسف له؛ أن كثيرا من مدونات التراجم الخاصة بالجزائريين تعتبر من الجهد الشخصي لبعض الباحثين الغيورين على التاريخ الجزائري، في الوقت الذي ينبغي أن تكون فيه جهود مؤسسات التعليم العالي موجهة إلى هذا المجال البكر.

12.2 ضعف رقمنة التراث الجزائري:

لقد أصبحت المراجع والمصادر البحثية مرقمنة في غالبها، من خلال الكتب المصورة أو المكتبات الالكترونية كالمكتبة الشاملة، ومما يلاحظ –للأسف الشديد– أن كثيرا من المدونات الجزائرية في علم التفسير لا يوجد لها أثر في عالم الرقمنة، وهذا ما يجعل الباحث عاجزا لا يستطيع الاطلاع على التراث، ولا يستطيع استثماره في البحث بسهولة، إذ لا يخفى ما في الرقمنة من تسهيل للبحث عن المعلومة، ومما يضرب به المثال في هذا المقام؛ عدم رقمنة جريدة البصائر والشهاب وغيرها من الجرائد الإصلاحية والدينية الجزائرية، ولا تزال نسخها حبيسة الرفوف، وما كان مصورا منها لا يزال على الهيئة القديمة في الطباعة والصف الفني للكتب، وهذه الجرائد والمجلات فيها من المقالات التفسيرية ووصف لمجالس التفسير الشيء الكثير الذي يصلح للدراسة والتحليل.

وقد أثرت مع الشيخ محمد الهادي الحسني حديثا حول رقمنة تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –باعتباره عضوا في المكتب الوطني للجمعية– فأخبرني بأن ذلك يحتاج إلى أموال كبيرة !.

13.2 عدم اهتمام الجهات الحكومية المسؤولة بالتراث التفسيري الجزائري:

بالرغم من وجود كثير من المدونات التفسيرية الجزائرية إلا أن الجهات الحكومية المسؤولة عن نشرها لا تهتم بذلك، في حين نجد أموالا طائلة تنفق في تظاهرات ومهرجانات يكرم فيها الأجانب والغرباء، في حين يتم إهمال تراث علماء البلد.

وهذا تفسير الشيخ ابن باديس كمثال؛ فقد تم إهماله عمدا أو غفلة، حتى تم تنصيب الشيخ عبد الرحمن شيبان وزيرا للشؤون الدينية والأوقاف، فأشرف على طبعه بنفقه من الوزارة، وبعد رحيله عن الوزاره ونفاد النسخ؛ لم تجر إعادة طبعه.

حلول مقترحة لإنعاش البحث في الدرس التفسيري في الجزائر

انطلاقا من العقبات المذكورة آنفا؛ جرى التأسيس لخطوات إجرائية يمكن من خلالها تذليل الصعاب ولو بشكل جزئي، إذ ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن الملاحظ على هذه الحلول أنها تحتاج إلى دعم مادي وجهد بشري كبيرين، وهذا يتحقق بأمور منها:

1) تبني الهيئات الحكومية لهذه الحلول، وذلك بتخصيص ميزانيات معتبرة تكفي لتغطيها.
2) مبادرة المختصين واجتهادهم للعناية بهذا التراث ودراسته.

كما أن هذه الحلول منها يمكن مباشرته والمضي في تنفيذه حالا، ومنها ما يحتاج إلى تحضير وتخطيط، وهذا أوان الشروع في سردها:

1.3 ضرورة توجه دور النشر الجزائرية والهيئات الحكومية كوزارة الثقافة ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى العناية بالتراث التفسيري لعلماء الجزائر، والتواصل مع المتخصصين في هذا المجال، من أجل الخدمة الجيدة والنوعية لهذا التراث النفيس.

2.3 التواصل مع أصحاب المكتبات من طرف الهيئات الحكومية أو الجمعيات العلمية والثقافية، من أجل إقناعهم بفتح المجال للاستفادة من كنوز المخطوطات والكتب الحبيسة في مكتباتهم، ومن المبادرات الجديرة بالإشادة؛ ما نراه في جامعة الأمير عبد القادر من تخصيص ركن باسم (مكتبة الشيوخ) نجد فيه مكتبات وقفية لعلماء ومفكرين جزائريين، كما شاهدنا –مؤخرا– تسليم مكتبة الشيخ ابن باديس إلى المكتبة الوطنية بالجزائر، وهذا ما يحثنا على محاولة إقناع أصحاب المكتبات بوقفها على المكتبات العامة الحكومية، لحفظها من الضياع، ولتمكين شداة المعرفة من الاستفادة منها.

كما ننبه إلى ضرورة تسهيل مهمة الحصول على الكتب والمخطوطات من المكتبات العامة، وخاصة المكتبة الوطنية بالجزائر، ومن صور ذلك؛ أن تعقد اتفاقيات بين الجامعات وبين هذه المكتبات تتيح الولوج إلى مضامينها من طرف الباحثين.

3.3 ضرورة تفعيل دور الجامعة الجزائرية بكل هياكلها في سياق دراسة التراث التفسيري الجزائري، من خلال توجيه الدراسة في مذكرات الماستر والدكتوراه، وتنشيط المخابر البحثية و فرق البحث، وتنظيم الملتقيات والندوات، وإثراء مكتبات الجامعات بمدونات التفسير والتراجم لعلماء الجزائر، ومن المشاريع الحرية بالاهتمام؛ استقراء أعلام الجزائر على مر العصور مع دراسة نتاجهم الفكري وتصنيف المفقود منه والمطبوع والمخطوط وأماكن وجوده والدراسات حوله.

4.3 جمع كلام المفسر الجزائري –ممن فُقِدَ كتابه– من بطون الكتب التي نقلت عنه، ومن أمثلة هذا الصنيع؛ (موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه) تأليف أ.د عبد العزيز دخان، فقد تتبع كلام

الداودي في التفسير من مختلف الكتب التي نقلت عنه كتفسير الثعالبي=(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، و(فتح الباري شرح صحيح البخاري) للحافظ ابن حجر.

5.3 تفعيل الدور الدبلوماسي والدخول في مفاوضات مع فرنسا من أجل استرداد الكتب والمخطوطات المنهوبة، وكذا الكشف عن الأرشيف الذي يوثق النشاط التفسيري لعلمائنا أثناء فترة الاستعمار.

6.3 إنشاء مراكز متخصصة احترافية لمعالجة المخطوطات وإصلاحها وحفظها، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المخطوطات التالفة، وحفظ ما بقي صالحا منها، مع تصويرها وفهرستها، وإقامة الندوات والملتقيات للتعريف بالتراث المخطوط، وتذليل الصعوبات أمام المتخصصين لتحقيقه، وجمع المخطوطات الجزائرية المنتشرة في العالم.

ومن الجهود الحرية بالإشادة مركز (الخزانة الجزائرية للتراث)؛ التي تعمل على فهرسة المخطوط الجزائري وتحقيقه، وقد تم إخراج كثير من النصوص الفقهية والتفسيرية والحديثية واللغوية، من البشائر؛ إخراجهم كتاب (ألفية الغريب) –في غريب القرآن الكريم– لابن العالم الزجلوي الجزائري.

7.3 رقمنة مدونات التفسير الجزائرية عبر تصويرها وإدخالها في برمجيات البحث ومواقع الإنترنت، وهذا مشروع ضخم يتطلب فنيين ومتخصصين في التصوير والإعلام الآلي والعلم الشرعي، وإني أحسب أن ضعف الرقمنة من الأسباب الرئيسة لضعف الدراسات في التراث الجزائري عموما والدرس التفسيري خصوصا، فإنك حينما تطالع جريدة البصائر تجد عسرا شديدا في قراءة بعض الأعداد بسبب التصوير السيئ، وبقائها على أسلوب الصف الفني القديم، كما أن الباحث يمر بمئات المقالات التي لا علاقة لها بموضوع التفسير؛ مما ينفر الباحثين من خوض غمار البحث فيها.

3.8 إعداد دراسة بيبلوغرافية للدراسات حول الدرس التفسيري الجزائري؛ تسهيلا على الباحثين في هذا السياق، وهذه محاولة نموذجية مختصرة لذلك:

1- جهود علماء الجزائر في علم التفسير من العهد العثماني، د. عبد الغاني عيساوي.
2- أعلام التفسير في الجزائر المحروسة من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الزيانية، د. عبد الغاني عيساوي.
3- حركة التفسير في الجزائر من الفتح الاسلامي إلى نهاية العهد الزياني، د. عبد الغاني عيساوي.
4- كتاب التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، د. محمد بن رزق الطرهوني.
5- التفسير والمفسرون في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، مقال د. عبد الكريم بوغزالة.
6- الفهرس الوصفي لمؤلّفات علماء الجزائر في القرآن الكريم وعلومه، د. فؤاد عطاء الله.
7- اتجاهات التفسير ومدارسه في الجزائر، مقال د. محمد لمين بوروبة.
8- المفسرون الجزائريون ومناهجهم في الدروس التفسيرية، د. منير زيباني.
9- جهود علماء الجزائر في علم غريب القرآن من القرن التاسع الهجري إلى القرن الخامس عشر، سعدودي عبد الرحيم.

10- جذور حركة التفسير في الجزائر و تطورها، د. خالد بن زيان.

خاتمة:

لقد تمخض البحث عن كثير من النتائج، منها:

1) كثرة المعوقات أمام الباحث في الدرس التفسيري لعلماء الجزائر.
2) إمكانية تجاوز العقبات البحثية بخطط إجرائية محكمة.
3) ضرورة الدعم المالي القوي للتخلص من هذه المشاكل.
4) ضرورة حشد جهود المتخصصين في سياق تذليل هذه الصعوبات.
5) اكتشاف تقصير الهيئات الحكومية في خدمة التراث الجزائري.
6) من سبل تجاوز الصعوبات البحثية؛ توظيف التكنولوجيا بمختلف وسائلها.
7) لا يمكن تجاوز هذه العقبات بجهود فردية، فلا بد من إرادة سياسية.

المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي. دار البصائر للنشر والتوزيع.

1. Abū al-Qāsim Sa‘d Allāh. (2007). Tārīkh al-Jazā’ir al-Thaqāfī. Dār al-Baṣā’ir lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

2. أحمد فلوح. مشكلات البحث العلمي في الجامعة الجزائرية. (2017). ملتقى حول الأمانة العلمية.

5.Aḥmad flwḥ. Mushkilāt al-Baḥth al-‘Ilmī fī al-Jāmi‘ah al-Jazā’irīyah. (2017). Multaqá ḥawla al-Amānah al-‘Ilmīyah.

3. جمال بلبكاي. البحث العلمي في الجامعات العربية –الواقع والتحديات والتوجهات المستقبلية–. (2016). مجلة معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية.

4. Jamāl blbkāy. al-Baḥth al-‘Ilmī fī al-jāmi‘āt al-‘Arabīyah-ālwāq‘ wa-al-taḥaddiyāt wa-al-tawajjuhāt almstqblyt-. (2016). Majallat Ma‘had al-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah.

4. عادل نويهض. (1980). مُعجَمُ أعلام الجزائِر. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

2. ‘Ādil Nuwayhiḍ. (1980). mu‘jamu A‘lām aljzā’ir. Mu’assasat Nuwayhiḍ al-Thaqāfīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr.

5. عادل نويهض. (1988). معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر». مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

3. ‘Ādil Nuwayhiḍ. (1988). Mu‘jam al-mufassirīn « min Ṣadr al-Islām wa-ḥattá al-‘aṣr al-ḥāḍir ». Mu’assasat Nuwayhiḍ al-Thaqāfīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr.